صنعـة الخـط والمخطـوط والوراقـة والفهرسـة

فهرسة المخطوطات وتصنيفها:مشكلات وحلول وقواعد (*)

تأليف: عبدالقادر أحمد عبد القادر
مراجعة: إسماعيل عبد الله الزهراني

أهمية الكتاب : تكمن أهمية الكتاب في أنه يمثل إضافة علمية منهجية ثرية في مجال علم المخطوطات، هذه الإضافة تربط بين علمين مهمين في عالم المعلومات، هما: علم

علم الوراقة المرتبط بالمخطوطات، وعلم الفهرسة : فهرسة المخطوطات وتصنيفها.

فقد ازدادت المخطوطات كثرة واكتشافاً، وازدادت كذلك المراكز تقتنيها وتعيد حفظها، إما تصويراً، وإما بواسطة الوسائد إلكترونية: كالمكروفش، ومع هذا الازدياد ظهرت حاجة المفهرسين، من حاجة المفهرسين الماسة إلى وجود قواعد تنظم عملية الفهرسة وتقنن لهم العمل أطلت رغبة قوية برأسها أقضت المضجع وأخذت تطارد المؤلف ليل نهار، فيقول: "بعد أن تجمعت ذخيرة كبيرة من المعلومات، وتضمنت الاسس العامة التي أنضجتها التجربة الثرية والعمل في فهرسة المخطوطات فدفعتنا إلى وضع أسس عامة وقواعد سليمة ستساعدنا في عملية فهرسة المخطوطات لننطلق جميعاً بأسلوب واحد، وطريقة واحدة؛ لتتلاشى الفوارق بين العاملين في هذا المجال، وبذلك

---

*

عبد القادر، عبد القادر أحمد/صنعة الخط والمخطوط والوراقة والفهرسة: فهرسة المخطوطات وتصنيفها: مشكلات وحلول وقواعد .- ط١ .- دمشق: دار الوثائق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

نسهل امام الباحث عملية الحصول على المعلومة التي يبحث عنها، أو المخطوط الذي يريده .

وقد اجتمع لدينا مجموعة كبيرة من الملاحظات، التي كانت ثمرة ميدانية في أثناء عملنا في الفهرسة في معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية في الكويت، وفي مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ورأينا أن هذه الملاحظات قد تكون منهاجاً وأساساً ثابتاً راسخاً، فأردنا تسجيلها لعلنا نهتدي بنورها في حل المشكلات العويصة التي تواجهنا في عملية الفهرسة، فتكون لنا نبراساً يخفف عنا عناء العمل، ويوطئ لنا ركوبته، لننطلق من أرض صلبة. فجاءت خلاصة ميدانية، مدعمة بأمثلة حية من المخطوطات التي وقعت بين أيدينا، وقمنا بفهرستها.

٢ – المؤلف :

المؤلف عالم محقق مدقق شارح لمكنونات التراث العربي الإسلامي، وبحاثة منقب ،له العديد من المؤلفات : ما بين تحقيق وتأليف، وكتب ومقالات، وهو يعمل الآن في مجال علم المخطوطات، فهو خبير في المخطوطات في قسم المخطوطات في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، كما أنه عضو في هيئة تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث التي يصدرها المركز أيضاً .

٣ – مكونات الكتاب :

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة أبواب :

الباب الأول : تاريخ المكتبات في العالم : شغل هذا الباب الصفحات ١٣- ٦٤ .

واستعرض فيه نشأة المكتبات عند الأمم السابقة فيما قبل الميلاد، خاصة عند اليونان والرومان والمصريين القدماء والبابليين والآشوريين.

ثم استعرض نشأة المكتبات لدى الأوربيين، خاصة في الأديرة، ونشأت من خلال ذلك المكتبات الكبرى مع منتصف القرن التاسع عشر، وعلى رأسها مكتبة المتحف البريطاني في لندن، والمكتبة الوطنية في باريس .

أما المسلمون فقد اهتموا بالمكتبات منذ العهد الأموي، ثم نشأت في العهد العباسي المكتبات وخزائن الكتب وبيوت الحكمة .

واحتاجت تلك المكتبات إلى فهارس، فعمل المفهرسون لها فهارس، كان أبرزها :

أ- فهارس المكتبات : ومما وصلنا منها فهرس كتب الخزانة الأشرفية .

ب - فهارس الكتب المروية.

جـ - فهارس الكتب الموقوفة على المكتبات.

د - فهارس مؤلفات العلماء.

هـ - فهارس الكتب العامة .

أما في العصر الحديث فقد اتبع المفهرسون المسلمون مناهج وطرقًا عدة في الفهرسة وقد أتى الكتاب على ذكر أربعة وثلاثين فهرسًا منها، وذكر فيها مناهج المفهرسين وطرقهم في الفهرسة.

أما فهارس المخطوطات العربية في الدول الغربية فقد أحصى منها سبعة فهارس، مع ذكر مناهجها .

واستعرض المؤلف كذلك مشروع الفهرسة الذي يقوم به المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية التابع لمؤسسة آل البيت .

الباب الثاني : المخطوط العربي : شغل هذا الباب الصفحات ٦٥- ١١٨.

استهل هذا الباب بتقديم تعريف للمخطوط بأنه " الكتب التي كتبت بخط اليد، وتحتفظ بها المراكز الثقافية والمؤسسات العلمية، والمكتبات العامة والخاصة".

أما مكونات المخطوط فتنقسم إلى قسمين :

أ- المكونات المادية: وتتمثل في الورق والمداد (الحبر)، والخط والتجليد.

ب – المضمون : ويضم عناصر عدة :

(١) ورقة العنوان: وهي تتضمن عنوان المخطوط، وتضم كذلك الممتلكات والوقفيات والتحبيسات والإهداءات ... وغيرها.

(٢) المقدمة : وتبدأ بالحمدلة، والصلاة على النبي، والدعاء، وأهم ما تحتويه المقدمة: عنوان المخطوطة، واسم المؤلف، وعنوان كتاب آخر للمؤلف، والموضوع الذي يعالج الكتاب، وأهم مصادره، وقد يذكر المؤلف شيوخه وأساتذته، ومنهجه، وهدفه أو سبب التأليف . ويستطيع المفهرس أحياناً الاستدلال على تاريخ تأليفها من خلال المقدمة.

(٣) الخاتمـــة : فقـد تتـضمن بعـض المعلـومات المهمـة، أهمهـا عـنوان المخطـوط، واسـم المؤلـف، ونهايـة المخطـوط، وتـاريخ النـسخ، وعـصر المؤلف، ومصادره .

وتفيد كذلك في معرفة اسم المنسوخ له، وتصحيح تاريخ وفاة المؤلف، أو ذكر حادثة تاريخية تؤرخ للكتاب، وقد يذكر عنوان كتاب آخر للمؤلف فيها، وغيرها من المعلومات .

(٤) التقيـيدات علـى المخطـوطات : كالـتملكات والتحبيـسات، والوقفـيات، والشراء، والتصحيح، والإجازات .

(٥) الحواشـي : وهـي مـا يـضاف علـى المخطـوط مـن تـصحيح واسـتدراك، أو شرح ... وغيرة .

(٦) الجـذاذات : وهـي أوراق صـغيرة مختلفة الأحجام، قد توجد مع المخطوط، تتـضمن تعلـيقات أو تـصحيحات أو شروحًا، أو إكمال نقص، وغيرها .

الباب الثالث : فهرسة المخطوطات العربية وتصنيفها :

أولاً : الفهرسة :

تختلف فهرسة المخطوطات عن فهرسة المطبوع، ويحتاج مفهرس المخطوطات إلى معرفة أمور عدة تميزه عن مفهرس المطبوع :

١ - معرفة مكونات المخطوط .
٢ - قراءة ما كتب على ورقة العنوان .
٣ - كل نسخة لها تعامل خاص عند الفهرسة
٤ - مفهرس المخطوط لابد ان يتأكد من صحة معلوماته .
٥ - عنوان المخطوط قد يختلف من نسخة إلى أخرى .
٦ - معرفة مؤلف المخطوط وعنوانه من أساسيات عمل المفهرس .
٧ - معرفة مكونات المجاميع .
٨ - تمتع المفهرس بخلفية ثقافية .
٩ - مفهرسو المخطوطات يتفاوتون في ترتيب بيانات بطاقة الفهرسة.
١٠- المخطوط لا يسمح بتداوله على نطاق واسع، ولذا فإن الفهرسة لاغنى عنها.
١١ - فهرسة المخطوطات فيها معاناة للمفهرس مع عدم وجود نماذج

فهرسة عالمية مثل الكونجرس وديوي.

المراجع الأساسية لعملية الفهرسة :

ميز المؤلف بين مصطلحي (مصدر) و (مرجع) فالأول، يعني الكتاب الذي يتصل بمادة الفهرسة اتصالاً كلياً أو جزئياً؛ ولا بد للمفهرس من معرفة أمهات كتب المراجع المرتبطة بعلم الفهرسة، وأهمها : كشف الظنون، لحاجي خليفة، وإيضاح المكنون ...، لإسماعيل باشا البغدادي، وهدية العارفين، والفهرست، والأعلام، ومعجم المؤلفين، ... وغيرها من المؤلفات .

ثم لا بد لمفهرس المخطوطات من أن يتسلح بثلاثة أمور أساسية :

١ - الاستعداد النفسي والفني لعمله، ونقصد بذلك أن يكون على دراية بالمبادئ العلمية التي يتطلبها عمله.

٢ - الميل إلى عمله، وحبه له، والتفاني فيه ؛ ليخرج عمله متقنًا دقيقًا.

٣ - التحلي بالصبر والجلد، وأن لا يصاب بالإحباط عند أول عقبة تواجهه .

وحتى يصل المفهرس بعمله إلى درجة شبه كاملة لا بد أن تتوفر لديه أمور فنية وغير فنية أهمها:

١ - أن يكون ملماً بكل جوانب الثقافة الإسلامية؛ لأن معظم المخطوطات العربية تندرج تحت هذا الموضوع .

٢ - أن يكون على علم تام باللغة والتاريخ والأدب والدين، حيث إن غالبية المخطوطات تقع ضمن هذه العلوم .

٣ - أن يكون متمتعاً بالدقة، وحسن التنظيم والقدرة على البحث في الفهارس والمصادر، وعلى تنظيم المعلومات .

٤- أن تكون لديه ذاكرة قوية، فيكون بذلك على دراية كاملة بالمخطوطات التي فهرسها أو التي يريد فهرستها ؛ إذ قد يقع بين يديه نسخة مخطوط فهرس نسخة أخرى منه سابقاً .

٥- أن يكون على دراية تامة بقواعد التصنيف والفهرسة، وطريقة استخدام الفهارس والمصادر والمراجع .

٦ - أن يكون دقيق الملاحظة، وقادراً على ربط القضايا بعضها ببعض، وعلى البحث والتحقيق .

٧- أن يكون على دراية كاملة بأنواع الخطوط، وقراءة ما كتب من مخطوطات بكل نوع. وهذه الدراية يكتسبها بالمران والممارسة، وخاصة تلك التي كتبت بالخط المغربي، أو بالخط الكوفي، أو بخط رديء .

٨- أن يكون على دراية تامة بأنواع الأحبار المستخدمة في الكتابة.

٩ - أن يكون على معرفة بالورق ونسبته مشرقياً أو أوروبياً، وما فيه من علامات أو خطوط .

١٠- أن يكون ملماً بمعرفة الزخارف الفنية التي يزخرف بها الجلد أو الورقة الأولى أو الأخيرة .

١١- أن يهتم بقراءة المخطوطات، وخاصة المقدمات، ليتعرف أساليب المؤلفين ومناهجهم، حتى إذا مرت به مخطوطة مخرومة من بدايتها، يستطيع أن يتعرف المنهج المتبع في عرض الموضوع، ومن ثم يستطيع أن يصل إلى معرفة المؤلف والعنوان.

١٢- أن يكون على دراية تامة بالملامح المادية للمخطوطات العربية ومعرفة المعلومات الخاصة بها، حتى يتمكن من تسجيل المعلومات التي تتطلبها الفهرسة.

١٣- أن يكون قادراً على استخدام الببليوجرافيات والمراجع وكتب التراجم والفهارس المخطوطات المنشورة، والمراجع التي تعينه في الوصول إلى العنوان الصحيح ومؤلفه .

١٤- أن يكون ملمًا برؤوس الموضوعات ومختلف الفنون وحدود كل فن وتعريفاته حتى يستطيع أن يحدد موضوع المخطوطة، سواء الخالية من العنوان أو المؤلف، أو الوارد فيها العنوان أو المؤلف. وهذا الأمر يسمى التصنيف.

١٥- أن يضع لنفسه منهجًا يسير عليه في عملية الفهرسة، وأن يضع أمامه قواعد تتفق مع عملية الفهرسة حتى يكون عمله واحدًا، لا تفاوت فيه بين فهرسته لمخطوط ومخطوط آخر.

١٦ - أن يكون ملمًا بالدلالات اللغوية للكلمات المستخدمة، حتى يستطيع أن

يفهمها فهمًا دقيقًا، يصيب بها هدف المؤلف وقصده من استخدامه لهذه الجملة.

١٧- أن تكون لديه القدرة على التمييز بين تاريخ النسخ والتأليف، وأي تاريخ يسجل في نهاية المخطوط.

١٨- أن من يتصدى للعمل في الفهرسة - فهرسة المخطوطات - لابد أن يتمتع بثقافة واسعة، وإدراك لما بين يديه من مخطوط، من جميع الجوانب.

١٩- من القضايا التي ينبغي أن يشتغل بها المفهرس، قضية قصة المخطوط العربي من بدايتها، أي أن يعرف متى بدأت كتابة المخطوط العربي. لذلك لابد أن يعرف المفهرس متى انحسرت الرواية الشفوية، وأن يعرف تاريخ التدوين، ومتى بدأ الناس يسجلون علومهم على الورق، وما الذي أبقت لنا الأيام من مخطوطات.

وثمة قضية أخرى ينبغي أن يهتم بها المفهرس، وهي واقع المخطوط، من حيث وجوده وعدمه، أو وجود قسم منه، أو قطعة، أو أجزاء، ومن حيث كثرة نسخة في مكتبات العالم وقلتها.

٢٠- ومن ثقافة المفهرس، أيضًا أن يكون على وعي تام ومتابعة لما يكتب عن شؤون المخطوطات، وخاصة المقالات والكتب التي تعنى بنسبة الكتب إلى مؤلفيها الحقيقيين، وتنفي نسبتها إلى من نسب إليهم خطأ.

٢١- من أهم ما يفيد المفهرس ويزيد من ثقافته قراءة مقدمات المحققين وتأمل وصفهم للنسخ المخطوطة التي ينشرون عنها تحقيقاتهم، وإثبات ما على النسخ من قراءات وإجازات وتملكات وبلاغات، ومتابعة ما ينشر من الكتب المحققة، وأن يديم النظر في فهارس المكتبات ومتابعة القراءة في الدوريات.

٢٢- ومما ينبغي أن يهتم به المفهرس إدراك العلاقات بين الكتب.

٢٣- ومما ينبغي على المفهرس أن يعرفه التمييز بين الكتب المخطوطة والكتب المطبوعة على حجر.

٢٤- أن يدرك الأوهام التي يقع فيها المؤلفون أو المحققون بسبب التشابه الكبير في أسماء المؤلفين وكناهم وألقابهم وتواريخ وفاتهم.

ثم عليه أن يميز بين المطبوعات الحجرية والمخطوطات، ويكشف التزوير في المخطوطات، سواء كان تزويرًا كاملاً، أو تزويرًا للمحتوى العلمي، أو تزويرًا للملامح المادية للمخطوط.

وقبل أن يبدأ المفهرس بملء بطاقة فهرسة المخطوط الذي بين يديه عليه أن يراعي ملاحظات مهمة :

١- لابد من قراءة صفحة العنوان كاملة، وكل ما كتب عليها، ومقدمة المخطوط قراءة متأنية، لأخذ فكرة عن المخطوط، وموضوعه وسبب تأليفه، وتقسيمه إلى أبواب أو فصول أو كتب أو غير ذلك.

٢- أن يتعرف الخطوط وأنواعها.

٣- أن يسجل ملاحظاته على ورقة منفصلة كعنوان الكتاب، ومؤلفه، وموضوعه، وغير ذلك مما يراه المفهرس ضروريًا.

٤- أن يقرأ نهاية المخطوط، وذلك لتحديد آخر جملة كتبها المصنف في هذا الكتاب، ويحدد ما كتبه الناسخ زيادة منه عما خطه المؤلف؛ لأن ما يزيده ناسخ لا نجده في نسخة أخرى كتبها ناسخ آخر.

٥- تصفح المخطوط تصفحًا كاملاً لتحديد نوعه ومحتوياته، وذلك لمعرفة ما إذا كان كتابًا واحدًا، أو عدة رسائل لمؤلف واحد، أو لأكثر من مؤلف؛ إذ قد يكون للمخطوط أكثر من مصنف، كأن يكون على حواشيه مخطوط آخر. فإذا كان المخطوط قصيدة ليس لها عنوان، فيسجل في العنوان حرف قافيتها، وإذا كان أرجوزة يسجل موضوعها، وإذا كان المخطوط مجموعة رسائل لمؤلف واحد، تفهرس كل رسالة في بطاقة مستقلة إذا وضع المؤلف لكل رسالة عنوانًا، وإلا فهرس المجموع كله في بطاقة واحدة. وهكذا يستمر المؤلف بسرد حالات الفهرسة الخاصة لكل مخطوط أو مجموع أو غيره.

معايير النفاسة والندرة :

ويضع المؤلف معايير معينة للندرة والنفاسة في عالم المخطوطات، وهذه المعايير هي :

أ - أن يكون المخطوط بخط المؤلف، وهي الغاية التي ليس وراءها غاية، وهذه الظاهرة قليلة جدًا في تاريخ النسخ، فقليلاً ما نصادف مخطوطة كتبت بخط مؤلفها.

ب - أن يكون المؤلف قد أملاه على أحد تلاميذه فكتبه، أو قرأه عليه، وأثبت هو عليه خطه بصحة القراءة عليه، أو السماع منه، أو إجازته له.

جـ - أن يتملكه أحد العلماء المشهورين، ويثبت عليه خطه بالقراءة أو التملك.

د - أن يكون المخطوط وحيدًا، لا توجد منه إلا هذه النسخة التي بين يدي الناسخ.

هـ - أن يكون المخطوط قديم النسخ والمقصود بالقدم أن يكون كتب في حياة المؤلف، أو قريبًا من وفاة المؤلف.

لكن هذا المعيار لا ينبغي عده مطلقًا، فقدم النسخة وحده لا يكفي، فقد تكون النسخة الأقدم ناقصة، والأحدث تامة، وقد يكون ناسخ الأقدم كثير السقط والغلط.

و- إذا كانت المخطوطة منسوخة لخزانة (مكتبة) سلطان أو أمير أو شخصية مرموقة، فنقول: إنها نسخة خزائنية، ويمتاز مثل هذا النوع من المخطوطات بالزخارف النباتية والتذهيب.

وفي آخر هذا الجزء يعرف المؤلف بحساب الجمَّل، وببعض الرموز المستخدمة في المخطوطات.

ثانيًا : التصنيف :

يعرف المؤلف التصنيف بالمخطوطات بأنه ضم المخطوطات التي تتعلق بموضوع معين من موضوعات العلوم، كل موضوع في حزمة، بحيث يحتوي الفهرس (البطاقات، أو قاعدة البيانات...)، المخطوطات التي تبحث في موضوع معين...، وهذا يعني أننا نصنف المخطوطات حسب الموضوعات، ثم استعرض المؤلف أغراض التصنيف عند

القدماء، أما المفهرسون في العصر الحديث فقد كان على ثلاثة أنظمة، هي :

- نظام ديوي العشري.
- نظام التصنيف العشري العالمي.
- نظام تصنيف مكتبة الكونجرس.

أما نظام تصنيف المخطوطات فقد اقترح لها المؤلف قائمة رؤوس الموضوعات بحسب العلوم كالآتي :

- **القرآن الكريم وعلومه :** المصاحف، وأصول التفسير، وعلم التفسير، والقراءات، وعلوم القرآن، وغريبه، وإعرابه، وقصصه، ورسم المصاحف.
- **الحديث الشريف وعلومه :** الحديث، والتراجم، والفهرسة، والثبت ... إلخ.
- **اللغة العربية وآدابها.**
- **المعارف العامة :** العقائد وأصول الدين، العلوم البحتة، التاريخ والسير، العلوم التطبيقية.
- **الفلسفة وعلومها :** الفقه الإسلامي وأصوله، العلوم الاجتماعية، الفنون، الكتب المقدسة.
- **الديانات الأخرى :** موضوعات إسلامية متنوعة، الجغرافيا.

الباب الرابع : صناعة فهرس المخطوطات: (يشغل هذا الباب الصفحات ٢٤٣ - ٤٨٧).

يتضمن هذا الباب توضيحًا مفصلاً لعناصر بطاقة الفهرسة، وما يجب على المفهرس أن يسجله في كل خانات هذه العناصر في البطاقة، وهي :

١. الرقم. ٢. العنوان.
٣. المؤلف. ٤. الموضوع.
٥. الأجزاء. ٦. البداية.
٧. النهاية. ٨. الناسخ.
٩. تاريخ التأليف. ١٠. تاريخ النسخ.
١١. الأوراق. ١٢. القياس. ١٣. الخط.
١٤. المراجع. ١٥. الملاحظات.
١٦. الإجازات والسماعات.
١٧. المصدر.

الخاتمة :

لقد استعرض المؤلف كل المشكلات التي تواجه مفهرس المخطوطات، وحاول حصرها، مع إيراد الكثير من الأمثلة من المخطوطات المحفوظة في مختلف مراكز الحفظ المنتشرة في أرجاء العالم.

ولابد لنا من القول إن الكتاب مرجع أساسي في مجال فهرسة المخطوطات وحصرها، فهو كتاب عملي يفيض بالتطبيقات المتنوعة والمتعددة التي تثري الموضوع وتزيده وضوحًا، مع هذا الجهد العظيم للمؤلف ألا أن ثمة ملاحظات جوهرية على الكتاب، أرجو أن ينتفع بها المؤلِّف والمؤلَّف في طبعات قادمة.

١- ينقص الكتاب ثبت بالمصطلحات الوراقية المستخدمة، وتعريف بها، في قائمة مستقلة، رغم أن المؤلف قد عرف بكثير منها في متن الكتاب.

٢- يحتاج الكتاب إلى فهارس فنية: الأعلام والمؤلفين، وأسماء مراكز الحفظ والمكتبات، والمصادر المخطوطة، والمطبوعات التي وردت في ثنايا الكتاب معزوة إلى صفحاتها، لتسهل على الباحثين الرجوع إليها والاستفادة منها.

٣- يحتاج الكتاب إلى مراجعة لحذف المكررات والاستطرادات، وكثرة التشعبات بذكر كثير من النقاط المكررة والمعادة، والتي يمكن دمجها في نقاط أكثر تحديدًا ودلالة.

وأخيرًا نفع الله بهذا المؤلَّف، وجزى الله مؤلفه خير الجزاء، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

* * *